

الرسالة العذرا في موازين البلاغى وادوات الكتابة
كتب بها ابو العيسر ابراهيم بن محمد السمرقندى

بسم الله الرحمن الرحيم

فتق الله الحكمة ذممتك وشرح بها صدرك وانطق لسانك
وتزف به بيانك وصل الى كتابك العجب الذي استعجب
فيه بجموع كلماتك جوامع اسباب البلاغة واستغنيتني عن
ادوات ادوات الكتابه وسالتي ان تعف بك علي وزن عندي
اللفظ وحلاوته وود فخامة المعنى جزالة ورشاقة نظم
الكتاب ومشاكلته بترده وحسن افتتاحه وختمه وانتهائها فصوله
واعبدال وصوله وسلامتها من الزلل وبعد عما من الخطأ ومنى
يكون ان الكتاب مستحق اسم الكتابه واليمين مسالمة معاني البلاغة
في اشارته واستعارته والى اى ادواته هو الخوخ ويا ترى
الانه سواها اذا تحوصل الحق وودعني الى الشيق ونمته وانما اسم
كتابك ايدك الله من ذلك الجمع كثر من انظاك ويعبر عن جملة ذلك
وان طولت في الكتاب وعرضت ما طمنت في الوصل
وستنقص على نفسي الجواب على قدر استقصائك في السؤال
وان اجعل به البيات الحال وسكون الحركة ونور انشاها وانتشار
الروية وتقسيم الفكر وانتراك القلب وانما المستعان اعلم
ايديك امه ان ادوات ديوان جمع المحاسن واللات المحارم

الصفحة الاولى من المخطوطة

وكما نواكيرهون ان يزبد منطق الرجل على صفة فقال لا اسأل ليس
به الا يريد قال كما نواكيرهون من فتنه السكوت وسقطات الصمت
فقال ليس هذا زبد فقال فكذلك انما تريد تحبير اللغظ في حسن البهائم
انك ان اردت تفرير الحجة اسد في عقول المتكلمين وتحفيف المعونة
على قسب معين وتزبين تلك المعاني في قلوب المرء من بالالفاظ
المستحسنه في الاذان المقبوله عند الاذان والخبث في سرعه استجاب
ونفي الشواغل عن قلوبهم بالمحافظة الحسنه على الكتيابه السنه كنت
مفترضا وتيت لصل الخطاب واستوجبت من اسدي سبانه وزيل الشوا
والتكيل من احمد كل ادى الى فتنه الحاحه وهو بلاغه فان انتطقت
ان يكون لفظك لعناك طيقا وتلك الحاله فقا واخر كلامك
لا ولا مشابها وموارده لصدوره موازنا فافعل واخر من
ان يكون لكلامك مشابها وان طرفه ونظما كان مسترشبا وان
لفظ بمواتاة الكك لك وتصرف اراذك معك فافعل ان
شا اسد وبنه الرساله حذرا لا نسا بكر معان لم تفرعها بلاغته
ان تطيقن ولا المستا الكف المفوحين ولا غاصت عليها فظن
المستكلمين ولا يسبق الى الفاعل الاذان ان تطيقن لا يجعلها سالا
من عيشيك ومضوره بين يدك وامامه لك في ليك ونهارك
بمطل عليك شائس منها منها ولفظك منها وكلماتها وموردك
بمناهل بلا غامتها وتلك على مبع رسدا وتصدقك وقد نفع

الصفحة الثانية من المخطوطة

ظنوا انك بينا بيننا اننا انما الله عز وجل والحمد لله
وحصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه في رجب سنة ١٢٤٠ هـ في ابي العباس المرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

استغفرك يا باسطة الاستغفار بركته واكرمك بالمبتدئ والمنعم
المفرد بالقدم الذي مل عن شبه المخلوقين واصفات المجلدين
والانكسار البراس السيات والعدل في افعال الصادق في
اقواله خالق الخلق ومبدئها ومبقيها ماشا ومغيبها ومبلوغة علمها
وابرار عزته واليه صلاة رضية وتقرية وتدنية وتوزن لغته
وتحظية كتابي اطلاق الله بقا مولاي الشيخ الجليل ومدونه وادام
كفايته وسعادته وجعلني قذاة وقدمني قبله على الصبي والكفيلة
وتهدى الغصاة العقيمة وليس على كاز اللفظ ويجري الكتاب
والعلمي تنقص وخلايد ونجب وسامح ولا كان ل بعضهم وقد علا
صدوقا كيف تجدك حقلني الله فداك وهو بقصد تجتبا ويريد
تلقا ويظن انه قد اسدى جيلنا بشكره صاحب ان نرضى واستقل
ويكافؤم عليه ان افاق وانزل عن سلاية كما بها كخصه حضرت
و عافيتهم بظانها بالشراف بزيوت عزته وميمون بعبسنة وطلعت
وتبيلم الله الكرم تقديست سماؤه الى لو حنت اليه ادام الله بآبده
حين الوالد الى بكره او ذات الفرح الى ذكره او الحنة سيلة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَرَّةُ الْمُؤَلَّفِ

١- الرسالة العذراء فى : موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها «أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيبانى» ، إلى «إبراهيم بن محمد بن المدبر»^(١) .

٢- فتق الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك ، وشرّف به بيانك . وصل إلى كتابك العجيب الذى استفهمتى فيه . بجوامع كلمك . جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتى عن غوامض آداب أدوات الكتابة وسألتنى^(٢) أن أقف بك على وزن عنوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالته ، ورشاقة نظم الكتاب ، ومشكلة سرده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وصوله ، وسلامتهما من الزلّ ، وبعدهما من الخطل^(٣) ، ومتى يكون الكاتب مستحقاً اسم الكتابة ، والبليغ مسلماً له معانى البلاغة ، فى إشارته ، واستعارته ، وإلى أى أدواته هو أحوج ، وبأى آلاته هو أعمل ، إذا حصحص الحق^(٤) ودُعِيَ إلى السبق وفهمته .

(١) جاءت البسمة بعد هذه العبارة فى المخطوطة ، ولكنى قدمت البسمة لتبدأ بها الرسالة . والنص فى رسائل البلقاء : ١٧٦ «الرسالة العذراء فى : موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد بن المدبر» ، وفى الهامش : «منقولة من مجموع قديم من كتب الشيخ : «طاهر الجزائرى» ، وقد طبقتها على الأصل ، ولم نظفر بنسخة ثانية لها ، وقد أخطأ الأستاذ : «محمد كرد على» فى نقل اسم مؤلف الرسالة . كما هو واضح . وتبمه فى هذا الخطأ كل من نشر الرسالة بعد ذلك .

(٢) «الواو» : ساقطة من جميع مطبوعات الرسالة . (٣) الخطل : الخطأ .

(٤) حصحص الحق : وضع واستبان .

٣- وأنا راسم لك - أيديك الله - من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ، ويعبر عن جملة سؤالك ، وإن طولت في الكتاب وعرضت ، وأطنبت في الوصف وأسهبْتُ ، ومستقص على نفسى في الجواب ، على قدر استقصائك في السؤال ، وإن أخلَّ به التياث الحال (١) ، وسكون الحركة ، وفتور النشاط، وانتشار الرويَّة ، وتقسُّم الفكر ، واشتراك القلب، والله المستعان.

* ضرورة الإخلاص في صناعة الكتابة *

٤- اعلم - أيديك الله - أن أدوات ديوان جميع المحاسن ، وآلات المكارم (٣٣٥-٣٣٥) (ب) طاعة (٢) منقادة لهذه الصناعة التي خطبتها ، وتالية تابعة لها، وغير خارجة إلى جحد إحكامها، ولا دافعة لما يلزمها الإقرار به لها ، إضراراً منها إليها ، وعجزاً عنها ، فإن تقاضتكَ نَفْسُكَ عِلْمَهَا ، ونازَعَتِكَ هِمَّتُكَ إلى طلبها ، فاتخذ البرهان دليلاً شاهداً ، والحق إماماً قائداً ، يقرب مسافة ارتيادك ، ويسهل عليك سبل مطالبها ، واستوهب الله توفيقاً تستنجح به مطالبك ، واستمنحه رشداً يقبل إليك بوجه مذهبك، فاقصد في ارتيادك، وتأمل الصواب في قولك وفعلك، ولا تسكن إلى جحود قصد السابق باللجاج ، ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار ، ولا تستخفَّ بالحكمة ولا تُصَغِرْها حيث وجدتها ، فترحل نافرة عن مواطنها من قلبك ، وتظنَّ شاردة عن مظانها (٣) من بالك ، وتتعضَّى (٤) بعد العمارة من قلبك آثارها ، وتتطمسَ بعد الوضوح أعلامها .

(١) التياث الحال : اختلاطها .

(٢) الطاعة : مذكر الطائفة ، وفي جمهرة رسائل العرب : ١٧٧/٤ «طائفة»

(٣) في جميع مطبوعات الرسالة : « مكانها » .

(٤) تتعضى : تدرس وتتمحى .

* سبل التحصيل وطريقته *

٥- واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكف ، وطول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارسة كتب الحكماء ؛ فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلب (١) أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، فى تلقيح ذهنك ، واستتجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسِّيَر والأسمار (٢) ، ما يتسع به منطقتك ، ويعذب به لسانك ، ويطول به قلمك (٣).

٦- وانظر فى كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب ، (٤) ، ومعانى العجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم (٣٣٦-أ) وعهودهم وتوقيعاتهم ، وسيرهم ومكايدهم فى حروبهم ، بعد أن تتوسط فى علم: النحو ، والتصريف ، واللغة ، والوثائق والشروط ، ككتب السجلات والأمانات ، فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب ، وتمهّر فى نزع آى القرآن فى مواضعها ، واجتلاب الأمثال فى أماكنها ، واختراع الألفاظ الجزلة ، وقرض الشعر الجيد و (معرفة) (٥) علم العروض ، فإن تضمين المثل السائر ، والبيت الغابر ، مما يزين كتابتك ، ما لم تخاطب خلفية أو ملكاً جليل القدر ، فإن اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء والجملة الرؤساء؛ عيب واستهجان للكتب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض

(٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « وطلبت » .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلاغ : ١٧٧ « الأسماء » . (٣) العقد الفريد : ٤ / ١٧٥ .

(٤) فى الأصل المخطوط : « ومحاربات العرب » وفى العقد الفريد : ٤ / ١٧٥ « ومجاوبة العرب » .

(٥) زيادة يقتضيتها السياق .

للشعر والصانع له ، فإن ذلك مما يزيد في أبعثه (١) ، ويدل على براعته ، وإن شدوت (٢) من هذه العلوم ما لا يشغلك حملة (٣) وتقيت من هذه الفنون ما تستعين به على إطالة قلمك ، وتقويم أود بيانك (٤) .

* من صفات الكتاب *

٧- بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، حلو الشمائل ، عذب الألفاظ ، دقيق الفهم ، حسن القامة ، بعيداً عن الفدامة (٥) ، خفيف الروح ، حاذق الحس ، محتكاً بالتجربة (٦) عالماً بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ، وبالملوك وسيرها وأيامها ، وبالدهور في قلبها وتداولها ، مع براعة الأدب ، وتأليف الأوصاف ، ومشاكل الاستعارة ، وحسن الإشارة ، وشرح المعنى بمثله من القول ، حتى ينصب صوراً منطقية تعرب عن أنفسها ، وتدلل على أعيانها : لأن الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب : طول القامة (٧) ، وصغر الهامة (٨) ، وخفة اللهازم (٩) ، وكثافة اللحية ، وصدق (٣٣٦-ب) الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وملاحة الرزى ، حتى قال بعض المهالبة لولده : « تَزَيُّوا بزى الكُتَّاب ، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السُّوقَة » (١٠) .

-
- (١) انظر العقد الفريد : ١٧٥/٤ مع بعض الخلاف في الرواية ،
 - (٢) شدوت : أخذت طرفاً من الأدب . (٣) في جميع مطبوعات الرسالة : « محلة » .
 - (٤) أود البيان : اعوجاجه . (٥) الفدامة : المي .
 - (٦) المحتك بالتجربة : الحكيم بسببها ، وفي جميع مطبوعات الرسالة : « محنكاً بالتجربة » .
 - (٧) في العقد الفريد : ١٧١/٤ ، ونهاية الأرب : ١٢/٧ « من صفة الكاتب اعتدال القامة » .
 - (٨) الهامة : الرأس .
 - (٩) اللهازم : عظم ينثأ تحت الأذن ، واحده لهزمة .
 - (١٠) انظر : عيون الأخبار : ٤٦/١ ، والبصائر والذخائر : ٤٢٨/١ ، والعقد الفريد : ١٧١/٤ ، ١٧٩ ، وبهجة المجالس : ٣٥٨/١ ، ولباب الآداب : ٢٢٩ ، والتذكرة الحمدونية : ٣٤٢/١ رقم : ٨٦٩ .

(ومن كمال آلة الكاتب : أن يكون بهيَّ الملابس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رفيق حواشى اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ، مُسْتَفْرَه المركَّب ، ^(١) ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفتنة) ^(٢) .

* منازل المخاطبين ودرجاتهم *

٨- وخاطب كلاً على قدر أبهته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وتفطنه وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ^(٣) فأربعة منها للطبقة العلوية ، وأربعة دونها ، ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة

(١) الفاره من الدواب : الجيد السير ، واستفهرها ، استكرمها ، أى : انتقاها كريمة فارها .
(٢) زيادة من نهاية الأرب : ١٢/٧ - ١٣ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٧٨/٤ - ١٧٩ ، وانظر المزيد من صفات الكتاب لإبراهيم بن محمد الشيباني . أيضاً . فى العقد الفريد : ١٧١/٤ .

(٣) فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب : ١٤٠-١٤١ « ومراتب المكاتبين ثلاث : مرتبة من فَوْقَكَ ، ومرتبة من هو مثلك ، ومرتبة من هو دونك . والمرتبة العليا تنقسم ثلاثة أقسام : فأعلاها مرتبة الخليفة ووزيره ، ومن كان نظير الوزير عنده ، ثم مرتبة الأمراء ومن جرى مجراهم ممن هو من دون الوزراء ، ثم مرتبة العمال وأصحاب الدواوين ، كذا قال ابن مقلة ، والواجب أن تجعل للخليفة مرتبة أرفع من كل مرتبة ، ألا يشاركه فيها وزير غيره . والمرتبة الوسطى تنقسم ثلاثة أقسام أيضاً : فأعلاها : مرتبة الشريف من الأصدقاء ، والعالم ، والثانية : مرتبة الشيخ من الإخوان ، الذى يجب توقيره ، وإن لم يكن شريفاً ولا عالماً ، والثالثة : مرتبة الصديق إذا خلا من هذه الأحوال . والمرتبة السفلى تنقسم ثلاثة أقسام . أيضاً . فأعلاها : مرتبة من قرب محله من محلك ، والثانية : مرتبة من لك رياسة عليه ، ووليت عملاً هو من رعيتك فيه ، والثالثة : مرتبة الحاشية ، ومن جرى مجراهم من الأولياء والخدم ، ولكل طبقة من هذه الطبقات مرتبة فى المخاطبة ، ومنزلة متى زيد عليها أو قُصُرَ بها عنها وقع فى الأمور الخلل ، وعاد ذلك بالضرر .

حظاً لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ، وَيَقْلِبُ معناها إلى غيرها :

(أ) فالطبقة العليا : الخلافة التي أعلى الله شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل .

(ب) والطبقة الثانية : الوزراء والكتّاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، وَيَرْتُقُونَ الفتوق بأرائهم ، ويتجملون بأدابهم .

(ج) الثالثة : أمراء ثغورهم ، وقواد جيوشهم (فإنه) ^(١) يخاطب كل امرئ منهم على قدره ، وبما حُمِّلَ من أعباء أمورهم وجلائل أعمالهم .

(د) الطبقة الرابعة : القضاة ، فإنهم - وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء - فمعهم أبهة السلطنة ، وهيبة الأمراء ^(٢) .

٩- وأما الطبقات الأربع الأخر : ^(٣) .

(أ) فالملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب ، وأفضألهم تفضيلهم فيها .

(ب) والثانية : وزراءهم وكتّابهم ، وأتباعهم الذين بهم تُقَرَّعُ أبوابهم ، وبعنايتهم تستباح أموالهم ^(٤) .

(ج) والثالثة : هم العلماء الذين يجب توقييرهم في الكتب ، لشرف العلم ، وعلو درجة أهله .

(١) زيادة من العقد الفريد : ١٨٠/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٧٩/٤ .

(٢) انظر : العقد الفريد : ١٨٠/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٥/٧ .

(٣) في رسائل البلغاء : ١٧٨ « الأربع الأخرى » .

(٤) تستباح أموالهم : تطلب عطاياهم .

(د) الرابعة : لأهل القدر والجلالة ، والظرفِ والحلاوة ، والعلم والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدّة أذهانهم ، وشدة تميزهم وانتقادهم (٣٣٧-أ) (وأدبهم وتصفحهم) (١) إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

١٠- واستغفينا عن الترتيب للتجار والسوقه والعوام رتبةً ، لاستغفنائهم بتجارتهن عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهمّاتهم عن هذه الأدوات (٢) .

١١- ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبٌ يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إليهم في كتبك ، وتزن كلامك في مخاطباتهم بميزانه ، وتُعطيهِ قَسَمَهُ ، وتُوفِيهِ نَصِيْبَهُ ، فإنك متى أضعت ذلك لم آمن بك أن تعدل بهم غير طريقهم (وتسلك بهم غير مسلكهم) (٣) وتجري شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه (٤) .

١٢- فلا تعدد بالمعنى الجزل (٥) ما لم تُلبِسَهُ لفظاً جزلاً لائقاً بمن كاتبته ، ومثابهاً لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى (٦) . وإن شرف وصلح . لفظاً مختلفاً (٧) عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عاداتهم ، تهجين للمعنى (٨) ، وإخلال بقدره ، وظلم لحق المكتوب إليه ، ونقص مما يجب

(١) زيادة من العقد الفريد : ١٨٠/٤ .

(٢) انظر : العقد الفريد : ١٨٠/٤ - ١٨١ .

(٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨١/٤ .

(٤) انظر : العقد الفريد : ١٨١/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٥/٧ .

(٥) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « فلا يفيد المعنى الجزل » ، وما أثبتته من العقد الفريد : ١٨١/٤ .

(٦) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « وإن إلباسك المعنى » وما أثبتته من العقد الفريد : ١٨١/٤ .

(٧) في العقد الفريد : ١٨١/٤ « متخلفاً » .

(٨) تهجين للمعنى : تقبيح له .

له ؛ كما أن في اتباع (١) ، تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم، قطعاً لعذرهم ، (٢) وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غير (٣) غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم (٤) .

* مناسبة الألفاظ والمعاني للمقامات *

١٢- فمن (٥) الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها في كتب السادات والأمراء والملوك . على اتفاق المعاني . مثل « أبقاك الله طويلاً ، و«عَمَّرَكَ مَلِيًّا » ، وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : « أطال الله بقاءك » ، وبين قولهم : « أبقاك الله طويلاً » ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدرًا ، في مخاطبة الملوك، كما أنهم جعلوا « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلة في كتب الظرفاء والأدباء ، من « جُعِلْتُ فداك » على اشتراك معناه (٣٢٧-ب) واحتماله أن يكون فداءً من الخير ، كما (يحتمل أن) (٦) يكون فداءً له من الشر ، ولولا أن رسول الله ﷺ قال « لسعد بن أبي وقاص » : « فداك أبي وأمي » لكرهت أن يكتب بها أحد ، على أن كُتِّبَ العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوا هجيراهم (٧) في مخاطبة الشريف ، والوضيع ، والصغير والكبير (٨) .

(١) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « امتناع » .

(٢) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٧٨ « وضعاً لقدرهم » وما أثبتته من العقد الفريد : ١٨١/٤ .

(٣) كلمة « غير » ساقطة من العقد الفريد : ١٨١/٤ .

(٤) انظر : العقد الفريد : ١٨١/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٦/٧ .

(٥) في رسائل البلغاء : ١٧٩ « ضمن » .

(٦) زيادة من العقد الفريد : ١٨١/٤ ،

(٧) هجيراهم : دأبهم وشأنهم .

(٨) انظر العقد الفريد : ١٨١/٤ .

* ألفاظ الدعاء *

١٤- ولذلك قال « محمود الوراق » (١) :

كُلَّ مَنْ حَلَّ « سُرْمَنْ رَا ، مِنْ النَّاسِ ، وَمَنْ يَصَاحِبُ الْأَمْلاكَا
لورأى الكلبَ ماثلاً فى طريق قال للكلب : يا جعلت فداك (٢)

١٥- وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل : « أبقاك الله وأمتع بك » إلا إلى :
الحرمة ، والأهل ، والتابع والمنقطع إليك ، وأما فى كتب الإخوان فغير
جائز، بل مذموم مرغوب عنه (٣) .

١٦- ولذلك كتب « عبد الله بن طاهر » (٤) إلى « محمد بن عبد الملك
الزيات » (٥) .

أَحَلَّتْ عَمَّا عَاهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ ام نَلِيتْ مَلِكًا فَتِهَتْ فِي كُتُبِكَ ؟
ام هل ترى أن فى التواضع للإخوان نقصاً عليك فى حَسْبِكَ ؟
اتعبت كَفِّيك فى مكاتبتى حَسْبُكَ مما يزيد فى تَعْبِكَ
إنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي أَدَبٍ يُكْتَبُ فى صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ ، (٦)

(١) هو : « محمود بن الحسن الوراق النخاس » ، عاش فى بغداد ، شعره كثير ، وأكثره أمثال
وحكم ومواعظ وأدب ، توفى فى حدود سنة ٢٣٠هـ ، انظر فى مصادر ترجمته : معجم
الشعراء العباسيين : ٥١٠

(٢) انظر : العقد الفريد : ١٨١/٤ . (٣) انظر : المصدر السابق : ١٨٢/٤ .

(٤) هو : « أبو العباس ، عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى » بالولاء ، أمير خراسان ،
ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى ، توفى سنة ٢٣٠ هـ ، انظر : الأعلام : ٩٣/٤ - ٩٤ .
(٥) هو « محمد بن عبد الملك الزيات » ، عالم باللغة والأدب ، ومن بقاء الكتاب والشعراء ، له
ديوان شعر مطبوع بتحقيق : جميل سميد ، القاهرة ، نهضة مصر سنة ١٩٤٩ م ، ووز
« للمعتصم » و « الواثق » ، وحينما مرض الواثق عمل « ابن الزيات » على تولية ابن المعتصم
وحرمان المتوكل فلم يفلح ، وولى « المتوكل » فنكبه وعذبه حتى مات ببغداد سنة ٢٢٢ هـ ،
انظر فى مصادر ترجمته : معجم الشعراء العباسيين : ١٩٦ .

(٦) انظر : عيون الأخبار : ٥١/١ ، والعقد الفريد : ١٨٢/٤ ، وأدب الكتاب : ١٦١-١٦٢
للصولى مع بعض الخلاف .

١٧- فكتب إليه « محمد بن عبد الملك » :

أنكرت شيئاً فلستُ فاعلهُ فلن تراه يُخطُ في كُتُبِك
فاعفُ. فدتك النفوسُ. عن رجلٍ يعيش حتى الممات في أدبِك
كيف أخون الإخاء يا أملئ وكلُّ شيء أنالُ من سببِك ؟
إن يك جهلاً أتاك من قبلي فعُدْ بفضلٍ على في أدبِك (١)

* صدور كتب السلف *

١٨- (١-٣٣٨) وأما صدور السلفِ فإنما كانت : من فلان ابن فلان إلى فلان، كذلك جرت كتب رسول الله ﷺ إلى « العلاء بن الحضرمي » ، وإلى « أقيال اليمن » ، وإلى : « كسرى » ، و« قيصر » ، وكتب أصحابه والتابعين كذلك ، حتى استخلص الكتابُ هذه المحدثات من بدائع الصدور ، واستتبطلوا لطيف الكلام ، ورتّبوا لكل رتبة ، وجروا على تلك السُنَّة الماضية إلى عصرنا هذا في كتب الخلفاء والأمراء ، وثبتوا على ذلك المنهج في كتب الفتوحات والأمانات والسجلات .

١٩- ولكل مكتوبٍ إليه قدرٌ ووزنٌ ينبغى للكاتب ألا يتجاوز به عنه ، ولا يقصر به دونه ، وقدر رأيهم عابوا « الأحوص » حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقولُ ، وبعضهم مَدَقُ الحديثِ ، يقول ما لا يفعلُ (٢).

فهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا أقدار الملوك أن يمدحوا بما

(١) الأبيات مع بعض الخلاف في الرواية في ديوان الوزير « محمد بن عبد الملك الزيات » : ٥٠ ، والعقد الفريد : ١٨٢/٤ ، وأدب الكتاب : ١٦٢ للصولي .

(٢) انظر : شعر الأحوص الأنصاري : ٢١٤ ، وفي الموضوع مصادر تخريج البيت .

يُمدح به العوأمُ ، لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد . وإن كان مدحًا . فهو واجب على كلِّ ، والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم بالنوافل ؛ لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تزني بحليلة جارك (٥) ، وإنك لا تخون ما استودعتَ ، وإنك تصدق في وعدك ، وتفي بعهدك ، كان قد أثى بما يجب ، ولكنه لم يصل بثائه إلى مقصده ، وقال ما (لا) (١) يستحسن مثله في الملوك « (٢) .

٢٠- ونحن نعلم قطعاً (٣) أن كل أمير تولى من أمور المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ، غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكَيْسَ : هو العقل إذا عنوا به (٣٣٨-ب) ضد الحُمُقِ ، ولكنك لو وصفت رجلاً فقلت : « إن فلاناً لعاقِلٌ » ، كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت : « إنه كَيْسٌ » كنت قد قصَّرتَ في وصفه ، وقصرت به عن قدره (٤) إلا عند أهل العلم باللغة؛ لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيث جرت منها العادة في استعمالها في الظاهر ، مع الحدَاثة والغِرَّةِ ، (٥) وخساسة القدر ، وصِفَرُ السَّنِّ ، فقد روينا عن علي رضي الله عنه أنه تبجح بالكيس (٦) حين بنى سجن الكوفة (٧) وقال (في ذلك) (٨) :

(٥) حليلة جارك : زوجته .

(١) « لا » ساقطة من الأصل المخطوط . (٢) انظر : العقد الفريد : ١٨٢/٤ .

(٣) « قطعاً » : ساقطة من جميع مطبوعات الرسالة .

(٤) في العقد الفريد : ١٨٣/٤ « وصفَّرت من قدره » .

(٥) في رسائل البلغاء : ١٨٠ « العزة » ، والغرة : الجهل والغفلة في اليقظة .

(٦) تبجح بالكيس : تفاخر بالعقل .

(٧) كلمة « سجن » ساقطة من رسائل البلغاء : ١٨٠ ، ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر

وعمر وعثمان رضى الله عنهم سجن وكان الناس يحبسون في المسجد أو الدهليز ، وكان

أول من أحدث السجن في الإسلام على رضي الله عنه وسماه نافعاً ، ولم يكن حصيناً ، فكان

المحبوسون يهربون منه ، فبنى آخر وسماه مخيساً . انظر شفاء الغليل : ١٠٩ .

(٨) زيادة من العقد الفريد : ١٨٣/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٤ .

أَمَا تَرَانِي كَيْسًا مَكْيَسًا (١)

بنيت بعد نافع مَخْيَسًا (٢)

حصناً حصيناً وأميراً كَيْسًا (٣)

وقال آخر،

ما يصنع الأحمق المرزوق بالكَيْسِ .

٢١- ونعلم أن الصلاة : رحمة (٤) ، غير أنهم قد حرّموها (٥) إلا على الأنبياء ، كذلك روى عن « ابن عباس » رضي الله عنه وسمع « سعد بن أبي وقاص » أخاً له يلبي (٦) ، ويقول : (لبيك) (٧) يا ذا المعارج ؛ فقال (الحسن) (٨) : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذلك كنا نلبي على عهد رسول الله ﷺ إنما كنا نقول : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ » (٩) .

٢٢- وكان « أبو إبراهيم المزني » قال في بعض ما طالب به « داود بن خلف الأصبهاني » ، فقال : وإن قال كذا فقد خرج من الملة والحمد لله ؛ فانتقد عليه ذلك « داود » ، وقال (فيما رد عليه) : « تحمد الله على أن

(١) كَيْسًا مَكْيَسًا : عاقلاً نافعاً .

(٢) المَخْيَسِ . بكسر الياء المشددة وفتحها . : السجن ؛ لأنه يخيم المحبوسين ، أى : يذلهم ؛ لأنهم يلزمون نزوله ، وهو اسم السجن الثاني المحكم البناء الذي بناه على الكوفة .

(٣) ديوان الإمام على : ١١٤ ، وبهامشه مصادر تخريج الأبيات .

(٤) فى الأصل المخطوط : « وحى » وصوابها من العقد الفريد : ١٨٣/٤

(٥) فى العقد الفريد : ١٨٣/٤ « كرهوا الصلاة » .

(٦) فى العقد الفريد : ١٨٣/٤ « ابن أخ له » . (٧) زيادة من جمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٤ .

(٨) كلمة « الحسن » ساقطة من الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٠ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٤ .

(٩) انظر : العقد الفريد : ١٨٣/٤ .

يخرج مسلم^(١) من الإسلام ، هذا موضع استرجاع ، وللحمد مكان يليق به! ونحن نقول عند المصيبة^(٢): ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

٢٣- فامتثل هذه الرسوم والمذاهب ، واجر على آدابهم ، فلكل رسوم امتثلوها ، وتحفظ في صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمتها ، وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تختتم به فصولك في موضع (٣٣٩-أ) ذكر الشكوى ، بمثل : «والله المستعان، وحسبنا الله ونعم الوكيل» ؛ وفي موضع ذكر البلوى : «نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء» ؛ وفي موضع ذكر المصيبة ؛ بمثل ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] وفي موضع ذكر النعم بمثل : « الحمد لله خالصًا ، والشكر لله واصبًا^(٣) ؛ فإنها مواضع ينبغى للكاتب تفقدها ، فإنما يكون كاتبًا إذا وضع كل معنى في موضعه ، وعلق كل لفظة على طبقها^(٤) من المعنى ، فلا يجعل أول ما ينبغى له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ، ولا أوله في آخره ، فإنى سمعت « جعفر بن محمد الكاتب » يقول : « لا ينبغى للكاتب أن يكون كاتبًا حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدم آخره »^(٥) .

(١) في الأصل المخطوط : « مسلمًا » .

(٢) انظر : العقد الفريد : ١٨٤/٤ .

(٣) في جميع مطبوعات الرسالة : « واجبًا » ، والواصب : الدائم الثابت .

(٤) طبقها : ما يساويها .

(٥) انظر : العقد الفريد : ١٨٤/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٦/٧ .

* محاكاة ما أتى في القرآن من الحذف والاتصال *

٢٤- واعلم أنه لا يجوز في الرسائل (استعمال) ^(١) ما أتى في آى القرآن من الاتصال ^(٢) والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام ، والعام بالخاص ؛ لأن الله - سبحانه (وتعالى) - إنما خاطب بالقرآن أقواماً فصحاء، فهموا عنه - جل ثناؤه - أمره ونهيه ومراده ، والرسائل إنما يُخاطَبُ بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب ، ولذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن ذهب (يكاتب) ^(٣) على مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ^(٤) ، وقوله تعالى ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ^(٥) احتاج (الكاتب) ^(٦) أن يبين (أن) معناه : أسأل أهل القرية وأهل العير، و ^(٧) بل مكرّم بالليل والنهار ، ومثله في القرآن كثير ^(٨) .

(١) زيادة من : نهاية الأرب : ١٨٦/٧ .

(٢) فى رسائل البلغاء : ١٨١ ، والرسالة المذراء : ١٨ « الإيصال » ، وفى العقد الفريد : ١٨٤/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٤/٤ « الاقتصار » ، وفى نهاية الأرب : ١٨٦/٧ « الاختصار » .

(٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨٤/٤ .

(٤) سورة يوسف : ٨٢ .

(٥) سورة سبأ : ٣٣ .

(٦) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٤/٤ .

(٧) زيادة من : نهاية الأرب : ١٨٧/٧ .

(٨) انظر : العقد الفريد : ١٨٤/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٧/٧ .

* ما يجوز في الشعر دون الرسائل *

٢٥- ولا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر ؛ لأن الشعر موضع اضطرار (والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها) (١) فاغتفروا فيه : الإغراب ، وسوء النظم ، والتقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار (وذلك كله غير مستساغ في الرسائل ، ولا جائز في البلاغات) (٢) .

فمن الحذف قول « الحطيئة » :

(فيه الرُمَاحُ وفيه كلُّ سَابِغٍ جَدَلَاءَ مَسْرُودَةٍ) من صنع سلام (٣)

يريد : « سليمان بن داود »

وكقول الآخر : « والشيخ : عثمان أبى عفان » ، (أراد : عثمان بن عفان) (٤).

وكقول الآخر (٣٣٩-ب) :

وسائلة بثعلبة بن سيرٍ وقد علقَت بثعلبة العلوُق (٥) .

أراد : « ابن سيّار »

(١) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٤/٤ .

(٢) زيادة من : المصدر السابق : ١٨٤/٤ - ١٨٥ .

(٣) ديوان الحطيئة : ٣٦ ، والعقد الفريد : ١٨٥/٤ ، ونهاية الأرب : ١٨٧/٧ .

(٤) زيادة من جمهرة رسائل العرب : ١٨٧/٤ .

(٥) العلوُق : المنية ، وهي جمهرة رسائل العرب : ١٨٧/٤ ، و « البيت للمفضل النكري يذكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسره » .

وكقول « النابغة »

(وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٌ تَبْعِيَّةٌ وَنَسْجُ سَلِيمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ (١) .

يريد : « سليمان »

٢٦- وكذلك ينبغي في الرسائل ألا يصغر الاسم موضع التعظيم ، وإن كان

ذلك جائزاً على مثل قولهم : « دُوَيْهِيَّةٌ » و « جُدَيْلٌ » و « عُدَيْقٌ » (٢) .

ومما لا يجوز في الرسائل : « كَلَّمْتُ إِيَّاكَ ، وَأَعْنَى إِيَّاكَ » .

٢٧- وإساءة النظم في التأليف في الشعر كثير ، وتكون الكلمة بشعة حتى

إذا وُضِعَتْ موضعها ، وقرنت مع أخواتها ، حسن حالها وراقت ، كقول

« الحسن بن هانئ » :

« ذُو خَصْرِ أَفَلَّتْ مِنْ كَدِّ الْقَبْلِ » (٣)

والكد كلمة مختلفة (٤) لاسيما في (وصف) (٥) الرفيق ، والغزل ،

والتشبيب ، غير أنها لما وقعت في موضعها حسنت ؛ كما أن اللفظة

العذبة إذا لم توضع في موضعها نفرت ، قال :

رَأَتْ عَارِضًا جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرَةً بِمَسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تَبَادُرَةً

(١) ديوان النابغة الذبياني : ١٤٦ ، وفي رسائل البلغاء : ١٨١ « زائل » ، وصوابها : « ذائل » ، والمراد وصف الدرع بأنها ذائل ، أى : ذات ذيل .

(٢) دويهيّة ، تصغير : داهية ، وجديل ، تصغير : جدل ، وعديق ، تصغير : عديق . انظر العقد الفريد : ١٨٥/٤ .

(٣) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨١ ، والرسالة العذراء : ٢١ « ذو حضر » وصواب ذلك من : جمهرة رسائل العرب : ١٨٨/٤ ، وذو خصر : بمعنى ذو ثغر خصر ، أى : بارد .

(٤) في جميع مطبوعات الرسالة : « قلقة » .

(٥) زيادة يقتضيهما السياق .

فأوقع الجلف الجافى هذه اللفظة غير موقعها ، وظلمها إذ جعلها فى غير مكانها ؛ لأن المساحى لا تكون ولا تصلح للفرائر ، وأين كان عن قول الشاعر :

غرائر ما حُدَّتْ يَهْدِينُ أَنْسَهُ فما فوقه منهن غير غرائر
حديث لو ان العُصْمُ تُدعى به أَّتَتْ ودون يد الفحشاء حدُّ البواتر

فتخير من الألفاظ أرجحها وزناً ^(١) ، وأجزلها معنى ، (وأشرفها جوهراً ، وأكرمها حساباً) ^(٢) ، وأليقها فى مكانها ، (وأشكلها فى موضعها) ^(٣) .

* صدور الرسائل *

٢٨- وليكن فى صدور كتابك دليل واضح على مرادك ، وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك ، حيثما جريت فيه من فنون العلم ، ونزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات ، فإن ذلك أجزل لمفناك ، وأحسن لاتساق (٣٤٠- أ) كلامك .

ولا تطيلن صدر كلامك إطالةً تخرجه من حده ، ولا تقصر به عن حقه ، ولو صُوِّر اللفظ وكان له حدٌ لوقفتمك عليه ، غير أنهم - فى الجملة -

(١) فى العقد الفريد : ١٨٦/٤ « أرجحها لفظاً » .

(٢) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٨/٤ - ١٨٩ .

(٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ .

كرهوا أن يزيدوا سطور (١) كتب الملوك على سطرين ؛ وهذه إشارة
لا تعبر إلا عن الجملة من المقصود إليه ؛ لأن الأسطر غير محدودة .

* إصلاح الدواة *

٢٩- واعلم أن أول ما ينبغي لك أن تصلح آلتك التي لا بد لك منها ، وأدواتك
التي لا تنم صناعتك إلا بها ، وهى : دواتك ، فابدأ بعمارتها
وإصلاحها، وتخبر لها ليقة (٢) نقيّة من الشّعر والوذح (٣) ؛ لئلا يخرج
على حرف قلمك ما يفسد كتابك ، أو يشغلك بتقيته ؛ وخذ من المداد
الفارسى خمسة دراهم ، ومن الصمغ العربى درهماً ، وعَفْصاً (٤)
مسحوقاً نصف درهم ، ورَمَادَ القِرطاس المحرّق درهمن ، ثم تسحقها ،
وتفريها وتجمعها ببياض البيض ، ثم بِنْدِقَهَا (٥) واجعلها فى الظل ،
فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك ، فكسرتة وحشوت به
دواتك ؛ وإذا نغمته فى ماء السلق حتى ينحل ويدوب ويختمر ، ثم
أمددت من مائة دواتك ، كان أجود وأنقى .

(١) فى جمهرة رسائل العرب : ١٨٩/٤ ، صدور .

(٢) الليقة : ما يوضع فى الدواة من صوف أو قطن ، وإنما سميت : ليقة؛ لأنها تحبس ما جعل
فيها من السواد وتمسكه ، انظر : أدب الكتاب : ٩٩ ، وكتاب الكتاب : ٩٦ ، ورسالة الخط
والقلم : ٢٦٥-٢٦٦ ، وصبح الأعشى : ٤٦٩/٢ .

(٣) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٢ ، الودح ، وهو تحريف ، وصوابه من
الرسالة العذراء : ٢٢ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٨٩/٤ ، والوذح : ماتلق بأصواف الغنم
من البعر والبول

(٤) العفص : الذى يتخذ منه الحبر .

(٥) بندقها : اجعلها بحجم البنادق التى تمر بها .

* أنابيب القلم *

٣٠- ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القلم الذي يصلح لكتابة القراطيس ، أقله عقداً ، وأكثفه لحمًا ، وأصلبه قشرًا ، (١) وأعدله استواءً (٢) ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت فإنها ما تصلح إلا للكواغد والرقوق (٣).

* براية القلم *

٣١- واجعل لقلمك براية حادة ، فإن تعثر يد الكتاب وقت قطع القراطيس ناقص من (٤) مروءته ، ومخلٌ بظرفه ، وإن قدرت ألا تقطع القراطيس إذا فرغت من كتابك إلا بخرطوم قلمك ، فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك ، و وأبدعُ (٣٤٠-ب) لظرفك وقطعك .

* نوع السكين *

٣٢- واستعمل لبرى القلم سكينًا طواويسيًا ، مُذَلَّقَ الحدَّ ، وميض الطرف ، فيكون ذلك عونًا لك على برى أقلامك ، فإن محل القلم من الكاتب محلُّ الرمح من الفارس (٥) ؛ ولئن قيل : كأنه الرمح الرُدِّيُّ ، فقد قال الكاتب : كأنه القلم البَحْرِيُّ ، وتقَدَّرَ الأنبوبة قبل بَرِيكِهَا لئلا تجعلها

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٢ « وأجلبه قشرًا » .

(٢) انظر : صبح الأعشى : ٤٥١/٢ .

(٣) الكواغد : القراطيس ، والرقوق : جلود رقيقة يكتب فيها .

(٤) حرف « من » ساقط من جميع مطبوعات الرسالة .

(٥) انظر : صبح الأعشى : ٤٥٧/٢ .

منكوسة ، وأبرها من ناحية نبات القصبه ، وأزهف . ما قدرت . جانبى قلمك ، ليرد ما انتشر من المداد ، ولا تطل شقه ، فإن القلم لا يمج المداد من شقه إلا مقدار ما احتملت شعبته ، فارفع شعبته (١) ليجمعا لك حواشى تحضيره .

٣٣- وأما قطع القلم فعلى قدر الذى يتعاطاه الكاتب من الخط ، غير أن المسلسل لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم المربع القط ، كما أن كتب الملوك والسجلات لا تحسن إلا بالقلم المحرف الكوفى ، وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه ، والمقصود إليه فى النوائب والمهمات .

٣٤- ورأيت كثيراً من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجعده وتجانسه ، ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفاً ، وأما الموشع والمولع والمولع والمديج والمنمّم والمسهم فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه .

* السبيل إلى حسن الخط *

٣٥- وأما حسن الخط فلا حد له ، قال « على بن النصراباذى الكاتب » (٢) :

(١) فى رسائل البلغاء : ١٨٢ ، والرسالة العذراء : ٢٤ « ... ما احتملت شبته ، فارفع شبته » ، وهى كما دونتها بالأصل المخطوط ، وأدب الكتاب : ٨٦ (للسولى) ، وانظر - أيضاً - صبح الأعشى : ٦/٣ .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٢ ، والرسالة العذراء : ٢٥ « على بن زيز النصرانى » ، وفى العقد الفريد : ١٧٢/٤ - ١٧٣ « على (بن زيز) النصرانى الكاتب » ، وصواب ذلك من : جمهرة رسائل العرب : ١٩١/٤ « على بن النصراباذى ، نسبة إلى نصرأ باز : محلة بنيسابور ، ومعناها بالفارسية عمارة نصر ، تنسب إلى نصر بن عبد العزيز الخزاعى » وكان قد ولى الرى فى أيام « السفاح » ، ولم يزل عليه إلى أن قتل « أبو مسلم الخرسانى » .

أَعْلَمُكَ الخَطَّ فى كلمه واحده ، لا تكتبن حرفاً حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى لا تعجل عنه إلى غيره (١) .

* النقط والشكل *

٣٦- وإياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المعضل الذى تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجِه ، ف (إنى سمعت « سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب » ، يقول : (٢) « لَأَنَّ يُشَكِّلَ عَلَى الحرف ، أحبُّ إلىَّ من أن يعاب بالنقط والإعجام (٣٤١-أ) (٣) وقال « المأمون » لكتابه : إِيَّاكُمْ والشُّونِيزَ (٤) فى كتبكم ، يعنى : النقط ، ولذلك قال «ابن هانى» :
لم ترضَ بالإعجامِ حينَ كَتَبْتُهُ حَتَّى كَتَبْتُ السَّبَّ بالإعْرَابِ (٤)

* الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم *

٣٧- ولا تُفْعِلْ الصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام - فقد قال «أبو العيناء» : إن بنى أمية هم الذين كانوا أمروا كتابهم فطرحوا ذلك فى كتبهم ، فجرت عادة الكتاب إلى يومنا هذا على ما سنوه ، وقد قال -

(١) انظر : العقد الفريد : ١٧٣/٤ ، ومعالك الكتابة : ٧٩ .

(٢) زيادة من العقد الفريد : ١٧٣/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩١/٤ .

(٣) فى العقد الفريد : ١٧٣/٤ « من أن يعاب الكتاب بالشكل » .

(٤) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلفاء : ١٨٣ « إياى » والتصحيح من العقد الفريد : ١٧٣/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩١/٤ ، والشونيز : كلمة فارسية بمعنى : الحبة السوداء .

(٤) انظر : ديوان أبى نواس : ٦٥ ، وأدب الكتاب : ٦١ (للصولى) ، برواية :

لم يرضَ بالإعجامِ حينَ كَتَبْتُهُ حَتَّى شَكَلْتُ عَلَيْهِ بالإعْرَابِ .

عليه الصلاة والسلام . : « لا تجعلوني كقدح الراكب ، ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره » (١) صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،
أولا وأسط وآخرًا .

* إتراب الكتب *

٣٨- وأجب أن تجعل بدل الأشارة (٢) التراب ؛ فإن النبي . عليه الصلاة
والسلام . قال : « أتربوا كتبكم ، فإنه أنجح للحاجة » (٣) .

* ضرورة كتابة التاريخ وطريقته *

٣٩- ولا تدع التاريخ ، فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها ، وانظر

(١) الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٥٥/١٠ ، والزيدي في إتحاف السادة
المتقين : ٤٢/٥ ، وعبد الرازق في المصنف : ٣١١٧ ، وابن حجر في المطالب العلية : ١٣١٦ ،
والمتقى الهندي في كنز العمال : ٣١١٧، ٢٢٥٤، ٢٢٥٣، ٢٢٥٢ ، والشوكاني في الفوائد
المجموعة : ٣٢٧ .

(٢) الأشارة : نشارة الخشب ، يقال : أشر الخشبة : شقها ، والمشار : المنشار .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي : ٦٣/٥ كتاب الاستئذان باب ما جاء في ترتيب الكتاب حديث
رقم : ٢٧١٣ بلفظ : « إذا كتب أحدكم كتابًا فليتربه فإنه أنجح للحاجة » وقال : حديث
منكر ، وابن ماجة : ١٢٤٠/٢ كتاب الأدب باب ترتيب الكتاب حديث رقم : ٣٧٧٤ ، وأورده
المجلوني في كشف الخفاء : ١٠٠/١ حديث رقم : ٢٥٧ ، وأتربوا كتبكم : اجعلوا عليها
التراب ، فإن التراب مبارك ، وأنكر ذلك يحيى بن معين ، وقال : إن الأرضة تسرع إلى
الكتاب ، وعندما ذكر الحديث ، قال في إسناده : لا يساوى فلسًا ، وانظر أيضًا : رسالة
الخط والقلم : ٢٧٣ ، وكتاب الكتاب : ٩٧ ، والاقتراب : ١٨٢/١ .

إلى ما مضى من الشهر وما بقى منه : فإن كان الماضى أقل من نصف الشهر قلت : لكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقي أقل من النصف ، قلت : كذلك أيضاً بقيت (١) ، وقد قال بعض الكتاب : إن الماضى من الشهر أنت تحصيه ، (٢) والباقي لا تحصيه ، لأنك لا تدري: أيتّم الشهر أم ينقص ؟ وليس هذا بشيء ، لأن تاريخ الكتاب ليس من الأحكام فى شيء ، وما على الكاتب أن يكتب إلا بما ظهر وتبيّن لا بما يظن.

* طريقة إسحاء الكتب *

٤٠- ولا تجعل سحاة (٣) كتبك غليظة إلا فى العهود والسجلات التى تحتاج إلى خواتمها وطوابعها ؛ فإن « محمد بن عيسى الكاتب » ، كاتب « آل طاهر » ، أخبر عنهم أن « عبد الله بن طاهر » كتب إلى العراق فى إشخاص كاتب كان كتب إليه ، فكتب وغلظ سحاة كتابه ، فردّ الكاتب إليه ، فقدم عليه راجياً لبرّه وجائزته ؛ فقال « عبد الله بن طاهر » (٣٤١-ب) : « إن كان معك مسحاة فاقطع خزم كتابك وانصرف وراءك ».

(١) فى جميع مطبوعات الرسالة : « لكذا أيضاً بقيت » .

(٢) فى رسائل البلغاء : ١٨٣ « أن تحصيه » و « أنت » محذوفة من الرسالة العذراء : ٢٦ ، وجمهرة رسائل العرب : ٤/١٩٢ .

(٣) السحاة : ما شد به الكتاب من خيط ونحوه ، وانظر فى ذلك : رسالة الخط والقلم : ٥٣ ، وأدب الكتاب : ١٢٥ ، وكتاب الكتاب : ٩٧ - ٨٩ والاقتراب : ١/١٨٢ - ١٨٣ .

* الطين *

٤١- وكذلك لا تعظم الطينة (١) ، ففى المثل : « مَنْ عَظَّمَ الطَّيْنَةَ فَإِنَّهُ مَلُومٌ » (٢) ولا تَطْبَعُهَا إِلَّا بَعْدَ عُنُونَاتِهَا . فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَدْبِهِمْ (٣) .

* إلصاق القراطيس ومحوها *

٤٢- وقد يجب عليك عِلْمُ إلصاق القراطيس وَمَحْوُهَا ، ولم أر شيئاً فى إلصاقها أَلْطَفَ مِنْ أَنْ يُنْقَعَ الصَّمْغُ العَرَبِيَّ فى المَاءِ ساعة حتى يذوب ، ثم يُلْعَصَقُ بِهِ ، وكذلك ماء الكثير أو النشاستج (٤) ثم تطويه طياً رقيقاً ، وتجعله فى منديل نظيف ، ويوضع (٥) تحت وسادة حتى يجف ، وأما محوها فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه ، غير أنه ينبغى له ألا يَلْقَطَ السواد من القراطيس إلا بمثل الشمع المسخن واللبان المضوغ ، وما أشبهها ، ثم يكون لقطه رويداً رويداً ، كلما لقط جانباً حوِّله إلى الجانب الآخر .

(١) الطينة : الطابع على الكتاب والصك ، وانظر فى ذلك : رسالة الخط والقلم : ٢٧٤ ، وكتاب الكتاب : ٩٨ ، والاقتضاب : ١٨٩/١ .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ « مظلوم » .

(٣) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ « مراد بهم » .

(٤) النشاستج : كلمة فارسية ، عُرِّيت وحذف شطرها فصارت : النشا ، وقد أقرها المجمع

وقال فى معناها : كربوهيدرات على شكل مسحوق أبيض . انظر المعجم الوسيط : ٩٦١/٢ ،

وجمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ (الهامش) .

(٥) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ « وَيُرْفَعُ » .

* قراءة الكتب المختومة *

٤٣- وأما قراءة الكتب المختومة ، والتلطفُ لنقض (١) خواتيمها ، فمما لا نذكره خوفاً من سَفِيهِ .

* آداب تضمين الأسرار في الكتب *

٤٤- وأما تضمين الأسرار (في الكتب) (٢) حتى لا يقرأها غيرالمكتوب إليه ففيه أدب (يجب معرفته ، وقد تعلقت العامة بالمعنى ، قال «الأصبهاني» (٣) وكان « أبو حاتم: سهل بن محمد » (٤) قد وضع منه أشياء جليلة (٥) فيجب أن تبدل الحروف تبديلاً يَخْفَى، وألطف من ذلك أن تأخذ لبناً حليباً ، (٦) فتكتب به في قرطاس ، فَيَذُرُّ المكتوب إليه عليه رماداً حاراً من رماد القراطيس ، فإنه يظهر (ما كتب به إن شاء الله) (٧) وإن كتب بماء الزاج (الأبيض) (٨) وذُرَّ عليه العفص

(١) في الرسالة العذراء : ٢٨ « لفض » .

(٢) زيادة من : جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ .

(٣) هو : أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني ، من أصحاب ديوان الخراج في الدولة العباسية ، كان من فضلاء الكتاب وأعيانهم ، وكان مترسلاً ، له « ديوان رسائل » ، توفي سنة ٢٤٦هـ . الأعلام : ٣٢٤/٧ .

(٤) هو : أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني ، من كبار العلماء باللفة والشعر ، من أهل البصرة ، كان المبرد يلازم القراءة عليه ، له نيف وثلاثون كتاباً وله شعر جيد ، توفي سنة ٢٤٨ هـ ، الأعلام : ١٤٣/٢ .

(٥) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٤ ، والرسالة العذراء : ٢٨ « وقد تعلقت العامة بالمعنى والأصبهاني ، فيجب أن .. » وما دونته من : جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ .

(٦) في رسائل البلغاء : ١٨٤ « لبناً طيباً » .

(٧،٨) زيادة من : جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ .

المدقوق جاز^(١) ، أو بماء العفص وذر عليه شيئاً من الزاج ، أو تتقع شيئاً من وشق^(٢) ثم تكتب به ، ثم نثرت عليه الرماد فإنه يظهر ، وإن أحببته لا يُقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة.

* معيار تخير الألفاظ *

٤٥- وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزِنِ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا (٣٤٢-١) بميزان التصريف إذا عرضت ، و(عاير) (٢) الكلمة بعياره إذا سنحت ، فربما مرَّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا (كتبت) (٤) : « أنا فاعل » أحسن من (أن تكتب) (٥) : « أنا أفعل » ، و (موضع آخر يكون فيه) : (٦) « استفعلت » أحلى من « فعلت » (٧) .

٤٦- وأدر الألفاظ في أماكنها ، واعرضها على معانيها ، وقلبها على جميع وجوهها ، حتى تقع موقعها ، ولا تجعلها قلقة نافرة ، فمتى صارت كذلك هجئت الموضع الذي أردت تحسينه ، (وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه) (٨) ، واعلم أن الألفاظ في (غير) (٩) أماكنها

(١) في رسائل البلغاء : ١٨٤ « بجاز » ، وفي جمهرة رسائل العرب : ١٩٣/٤ « بزاج » والعفص : شجرة البلوط ، يتخذ من ثمرها حبراً أو صبغاً .

(٢) الوشق : نوع من الصمغ .

(٣) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٦/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٤) في الأصل المخطوط : « حسب » ، وما دونته من العقد الفريد : ١٨٦/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٥) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٦/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٦) انظر : العقد الفريد : ١٨٦/٤ .

(٧) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ - ١٨٧ ، ونهاية الأرب : ١٨٨/٧ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(والقصد بها إلى غير مظانها، إنما هو) ^(١) كترقيع الثوب الذي لم تتشابه رِقَاعُهُ (ولم تتقارب أجزاءه ، خرج من حُدِّ الجِدَّةِ و) ^(٢) تغيَّرَ حسنه ، (كما) ^(٣) قال الشاعر :

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ ^(٤)

* أفضل الأوقات للكتابة *

٤٧- وارتصد لكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك ، فتجد ما يمتع عليك بالكد والتكلف ؛ لأن سماحة النفس بمكوناتها ، وجود الأذهان بمخزونها، إنما هو مع الشهوة المفرطة في الشعر ^(٥) ، والمحبة الغالبة فيه ، أو الغضب الباعث منه ذلك .

قيل لبعضهم : لم لا تقول الشعر ؟ قال: كيف أقوله ، وأنا لا أغضب ولا أطرب ! ^(٦) .

وهذا كله إن جَرَيْتَ من البلاغة على عِرْقٍ ، وظهرت منها على حظ ؛ فأما إن كانت غير مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها، فلا تتض مطيِّتِك ^(٧) في التماسها ولا تُتَّعِبْ بدنك في ابتغائها ، واصرف عِنانك عنها، ولا تطمع فيها باستمارتك ألفاظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير

(٣،٢،١) زيادة من العقد الفريد : ١٨٦/٤ - ١٨٧ ، ونهاية الأرب : ١٨٨/٧ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٤/٤ .

(٤) انظر العقد الفريد : ١٨٦/٤ - ١٨٧ ، ونهاية الأرب : ١٨٨/٧ .

(٥) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٥ « في الشر » ، وفي الرسالة المنذراء : ٣٠ «في الشيء» .

(٦) في العقد الفريد : ٢٢٦/٥ - ٢٢٧ « وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سهية : هل تقول الآن شعراً ؟ قال : ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، فلا يقال الشعر إلا بوحدة من هذه» .

(٧) تتض مطيِّتِك : تهزلها .

مثمر لك ، ولا مجد عليك ، ومن كان مرجعه فيها إلى اغتصاب ألفاظ من تقدمه (١) والاستضاءة بكوكب من سبقه ، وسحب ذيل حُلَّة غيره ، ولم يكن معه أداة تولد له (٢٤٢-ب) من بنات قلبه ، ونتائج ذهنه : الكلام الحر ، والمعنى الجزل ، فلم يكن من الصناعة في غير ولا تَفِير ، على أن كلام الفصحاء (٢) المطبوعين ، ودرس رسائل المتقدمين . على كل حال . مما يَفْتُقُّ اللسان ، ويوسع المنطق ويشحذ الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجيّة .

* مناسبة الألفاظ للمعاني *

٤٨- قال « العتّابي » (٣) ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم ، وجرينا فيه من صنوف الآداب ، شيئاً أصعب مرأماً ، ولا أوعر مسلماً ، ولا أدلّ على نقص الرجال ورجاحتهم ، وأصالة الرأي ، وحسن التمييز منه ، واختياره من الصناعة التي خطبتها ، والمعنى الذي طلبته ، وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ ، وقصْدِكِ بها إلى موضعها ؛ لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ، ولا تحسُنُ في مكان غيرها ، وبتمييز هذه المعاني ، ومناسبة طبائع جهابذتها ، ومشكلة أرواحهم ، جعلوا الكتابة نسباً وقرابة ، وأوجبوا على أهلها حفظها .

(١) في رسائل البلغاء : ١٨٥ ، والرسالة العذراء : ٣٠ « تقدم » .

(٢) في جميع مطبوعات الرسالة : «المعطاء» .

(٣) هو : كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، أبو عمرو : من بنى عتاب بن سعد : كاتب حسن الترسل ، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة ، يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو من أهل الشام ، توفي سنة ٢٢٠ هـ ، الأعلام : ٢٣١/٥ .

* مكانة الكتاب *

٤٩- (قال) الحسن بن وهب (١) : الكتابة نفس واحدة تجزأت في أبدان متفرقة ؛ ومن لم يعرف فضلها ، وجهل أهلها ، وتعدى بهم ربتهم التي وصفهم الله بها (٢) فإنه ليس من الإنسانية في شيء .

٥٠- قالت البرامكة : رسائل المرء في كتبه دليل على عقله ، وشاهدٌ على غيِّبه .

٥١- قال الشاعر :

وتُنكِرُ ودَّ المرءِ في لحْظِ عَينه وتَعْرِفُ عَقلَ المرءِ حينَ تَكاتِبُه

٥٢- (وقال) آخر :

وَشَعْرُ الفِتي يَبْدِي غَريزَةَ طَبِعه وِبالِكُتُبِ يَبْدُو عَقلُه وِبالِغَتُه

٥٣- (وقال) الشعبي (٣) : يُعرف عقل الرجل إذا كتب وأجاب (٤) .

(١) هو : أبو علي الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي ، كاتب ، من الشعراء ، كان معاصراً لأبي تمام ، وله معه أخبار ، وكان وجيهاً ، استكتبه الخلفاء ، ومدحه أبو تمام ، ولما مات رثاه البحتري ، توفي نحو سنة ٢٥٠ هـ الأعلام : ٢٢٦/٢ .

(٢) وذلك في قوله تعالى : ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ (سورة الانقطار : ١١) .

(٣) هو : أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار ، الشعبي الحميري ، راوية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة ، اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم ، وكان فقيهاً شاعراً توفي سنة ١٠٣ هـ . الأعلام : ٢٥١/٣ .

(٤) في جمهرة رسائل العرب : ١٩٦/٤ « إذا كتب فأجاد » .

٥٤- (وقال) العتبي (١) : عقول الناس (٢٤٣-١) مدونة في كتبهم .

٥٥- (وقال) ابن المقفع (٢) : كلام الرجل وافد عقله .

* عود إلى مناسبة الألفاظ للمعاني *

٥٦- وشبَّهت الحكماء المعاني بالفوانى ، والألفاظ بالمعارض ، فإذا كسا الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظاً رائعاً ، وأعاره مخرجاً سهلاً ، كان للقلب أحلى ، وللصدر أملئ ، ولكنه بقي عليه أن ينظمه في سلكه مع شقائقه كاللؤلؤ المنثور ، الذى يتولى نظمه الحاذق ، والجوهري العالم يُظهرُ بإحكام الصنعة له حسناً هو فيه ، ويمنحه بهجة هي له ، كما أن الجاهل إذا وضع بين الجوهرتين خَرَزَةً هَجَنَ نظمه وأطفأ نوره ، كان «حبيب بين أوس» ربما وقع على جوهرة فجعلها بين بعرتين قال الشاعر :

ولو قَرَنْتَ بدرٌ فاخِرِ خَرَزاً من الزجاج لَقَلْنَا بئسما نَظْماً

والياقوت حَسَنٌ ، وهو فى جيد الحسناء أحسن ، وكذلك الشعر الجيّد مُونِقٌ (٣) ، ولكنه من أفواه العظماء آنقُ ، والتاج الشريف بهى المنظر ، وهو على الملك أبهى ، كما قال «ابن قيس» الرقيات :

(١) هو : أبو عبد الرحمن الأموى محمد بن عبيد الله بن عمرو ، من بنى عتبة بن أبى سفيان، أديب ، كثير الأخبار حسن الشعر ، من أهل البصرة ، ووفاته فيها سنة ٢٢٨ هـ ، الأعلام : ٢٢٨/٦ .

(٢) هو : عبد الله بن المقفع ، من أئمة الكُتَّاب ، وأول من عنى فى الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس ، ولد فى العراق، مجوسياً ، وأسلم على يد عيسى بن على (عم السفاح) وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى ، اتهم بالزندقة ، فقتله فى البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبى سنة ١٤٢ هـ ، الأعلام : ١٤٠/٤ .

(٣) المونق : المعجب .

* يعتدلُ التَّاجُ فوقَ مَفرِّقِهِ (١) *

* تلاحمُ أبياتِ النصِّ *

٥٧- قال « أبو العتاهية » « لابن مُنَادِرٍ » : بلغنى أنك تقول الشعر فى الدهر،
والقصيدة فى الشهر ؛ فقال : نعم ، لو رضيت لنفسى أن أولف تأليفك وأقول :

* يا عتَبَ يا دُرَّةَ الغَوَاصِ *

لقلت فى اليوم واللييلة ألف قصيدة (٢)

٥٨- وقال « عمر بن لَجَأَ » لشاعر : أنا أشعر منك ؛ قال : ولم ؟ قال :
لأنك تقول البيت وابن عمِّه ، وأنا أقول البيت وأخاه (٣) .

* ضرورة عرض الإبداع على البلقاء *

٥٩- فإذا منيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش
صدرك بشعر معقود ، وأودَعَتَكَ نفسك إلى تأليف الكلام المنثور ، وتهياً
لك نظم هو عندك معتدلٌ ، وكلام لديك متسقٌ ، فلا تدعُوك الثقة
بنفسك ، والعُجْبُ بتأليفك أن تهجمَ به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر
(٣٤٣-ب) إلى تأليفك بعين الوالد لوالده ، والعاشق إلى عشيقه ، كما
قال « حبيب » :

ويسىء بالإحسان ظناً ، لا كَمَنُ هو بابنهِ وبِشعرِهِ مَفْتون (٤)

(١) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : ٥ وفيه مصادر التخريج .

(٢) انظر القصة برواية أخرى فى : المجلس الصالح الكافى : ١/٥٢٠ - ٥٢١ .

(٣) البيان والتبيين : ١/٢٠٦ .

(٤) ديوان أبى تمام (بشرح الخطيب التبريزى) : ٣/٣٢١ .

ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجاً بغيره ، فإن
أصفوا إليه ، وأذِنوا له (١) ، وشَخَّصُوا بالأبصار واستعادوه وطلبوه منك
وامتزج ، فاكشَفَ من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه ، وانسبَهُ إلى
نفسك ، وإن رأيت العيون عنه منصرفاً ، والقلوب عنه لاهية (٢) ،
فاستدلَّ به على تخلفك عن الصناعة ، وتقاصرك عنها ، واستربَّ رأيك
عند رأى غيرك من أهل الأدب والبلاغة ، فقد بلغنى أن بعض الملوك
دعا إنساناً إلى مؤانسته ، حتى ارتفعت الحِشْمَةُ بينها ، فأخرج له كتاباً
قد غشَّاه بالجلود ، وجمع أطرافه بالإبريسم (٣) ، وسوى ورقه ، وزخرف
كتابته وجعل يقرأ عليه كلاماً قد حَبَّرَه (٤) فيه ، ونَمَّقَه عند نفسه ،
وجعل يستحسن ما لا يحسن ، ويقف على ما يستثقل (٥) قراءتَه ، حتى
أتى على الكتاب ؛ فقال له : كيف رأيت ما قرأتُ عليك ؟ فقال : أرى
عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه ، فَفَطَنَ له ولم يعاودَه ، إلى أن
وقف به على تُور مسجور (٦) ، ثم قذف بالكتاب فى النار ، وهذا رجل
فى عقله فَضْلَةٌ (٧) ، وفيه تمييز .

وإنما البليةُ فيمن إذا بيئت له سوء نظمه واختياره ، ووقفتَه على سخافة
لفظه ، هجرك وعاداك !!

(١) أذِنوا له : استمعوا بإعجاب شديد .

(٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٦ « واهية » ، وفى جمهرة رسائل العرب :

١٩٨/٤ « ذاهية » . (٣) الإبريسم : الحرير . (٤) حبره : حسنه .

(٥) فى جميع مطبوعات الرسالة : « ما لا يستثقل » .

(٦) التور المسجور : الفرن المحمى . (٧) الفضلة : الزيادة والقوة .

٦٠- فاجعل هذا الأصل ميزاناً تزن به مذهبك في رسائلك وبلاغتك ولا تخاطبِينَ خاصاً بكلام عام ، ولا عاماً بكلام خاص ، فمتى خاطبت أحداً بغير ما يشاكله ، فقد أجريت الكلام غير مجراه ، وكشفته (٣٤٤ - أ) وقصدك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيهٌ بقدر كلامك^(١)، ورفعٌ لدرجته ، قال :

فَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيماً لِشَعْرِي وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا (٢)

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرهما ، وتجنبَّ ما قَدِرْتَ الألفاظَ الوحشية ، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلاماً بين الكلامين .

* جزالة الألفاظ *

٦١- (قال) « الجاحظ » : ما رأيت قومًا أمثل طريقةً في البلاغة من هؤلاء الكتّاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً .

٦٢- وقال « خالد بن صفوان » : أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبديويِّ المغربِّ ، ولا القَرَوِيِّ المخدجِ (٣) ، الذي

(١) في رسائل البلغاء : ١٨٧ ، وجمهرة رسائل العرب : ١٩٨/٤ « تنبيه لقدر » .

(٢) ديوان أبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي) : ٣٤٣/١ .

(٣) المخدج : الناقص .

صَحَّتْ مَبَانِيهَ ، وَحَسُنَتْ مَعَانِيهَ ، وَدَارَ عَلَى أَسْنِ الْقَائِلِينَ ، وَخَفَ عَلَى
أَذَانِ السَّامِعِينَ ، وَيَزِدَادُ حَسَنًا عَلَى مَمَرِ السَّنِينَ ، تَجْتَلِيهِ الرُّوَاةُ ،
وَتَقْتِيهِ السُّرَاةُ (١) .

* الكَاتِبُ الْمُسْتَحَقُّ اسْمَ الْكِتَابَةِ *

٦٣- والكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، مَنْ إِذَا
حَاوَلَ صِنْعَةَ كِتَابٍ سَالَتْ عَلَى قَلَمِهِ عَيُونَ الْكَلَامِ مِنْ يَنَابِيعِهَا ، وَظَهَرَتْ
مِنْ مَعَادِنِهَا ، وَبَدَرَتْ (٢) مِنْ مَوَاطِنِهَا ، مِنْ غَيْرِ اسْتِكْرَاهٍ وَلَا
اغْتِصَابٍ (٣) .

٦٤- حَدَّثَنَا صَدِيقٌ « لِلْعَتَّابِيِّ » (٤) قَالَ لَهُ : اَعْمَلْ لِي رِسَالَةً ، وَاسْتَمِدَّهُ
مَرَّةً (٥) بَعْدَ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَرَى بِلَاغَتِكَ إِلَّا شَارِدَةً (عِنكَ) (٦) ،
فَقَالَ لَهُ « الْعَتَّابِيُّ » : لِمَا تَتَاوَلْتَ الْقَلَمَ تَدَاعَيْتَ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ،
فَأَحْبَبْتَ أَنْ أَتْرِكَ كُلَّ مَعْنَى (حَتَّى) (٧) يَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ أَجْتَنِي
لَكَ أَحْسَنَهَا (٨) .

(١) فِي جَمِيعِ مَطْبُوعَاتِ الرِّسَالَةِ : بِتَجْلِيَةِ الرُّوَاةِ ، وَتَقْيَةِ السَّرَاةِ .

(٢) بَدَرَتْ : أَسْرَعَتْ ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْعَمَدِ الْفَرِيدِ : ١٧٤/٤ ، وَفِي الْأَصْلِ الْمَخْطُوطِ ، وَرِسَائِلِ
الْبَلْفَاءِ : ١٨٧ « وَتَدْرِبُ » ، وَفِي جَمْهَرَةِ رِسَائِلِ الْعَرَبِ : ١٩٩/٤ « نَدَرْتُ » .

(٣) انْظُرِ الْعَمَدَ الْفَرِيدَ : ١٧٤/٤ .

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْفُقْرَةِ رَقْمَ : ٤٨ .

(٥) اسْتَمِدَّهُ : طَلَبَ مِنْهُ إِخْرَاءَ الْمُدَّةِ ، وَفِي الْعَمَدِ الْفَرِيدِ : ١٧٤/٤ « فَاسْتَمَدَّ مَدَّةً ثُمَّ عَلِقَ

الْقَلَمَ » ، وَفِي جَمْهَرَةِ رِسَائِلِ الْعَرَبِ : ١٩٩/٤ « اسْتَمَدَّهُ مَدَّةً » .

(٦،٧) زِيَادَةُ مِنَ الْعَمَدِ الْفَرِيدِ : ١٧٤/٤ ، وَجَمْهَرَةِ رِسَائِلِ الْعَرَبِ : ١٩٩/٤ .

(٨) انْظُرِ الْعَمَدَ الْفَرِيدَ : ١٧٤/٤ .

٦٥- وأَمَلَى « يزيد بن عبد الله » أخو « ذُبْيَان » (١) على كاتب له ، وأَعَجَلَ عليه الإملال ، فتعثر قلم الكاتب عن تقيد إملاله ؛ فقال له متحرشاً : اكتب يا حمار ! فقال الكاتب (٣٤٤-ب) : أصلح الله الأمير ! إنه لما هَطَلْتُ شَأْيِيْب (٢) الكلام ، وتدافعت (٣) سيوله على حرف القلم ، كَلَّ الْقَلَمُ عن إدارك ما وَجَبَ عليه تقييدهُ ، فليتذكر الأمير عذرى ، فكان جوابه أبلغ من بلاغه « يزيد » (٤) .

* عذوبة الكلام *

٦٦- وكلما اَحَلَوَلَى الكلامُ وَعَدَبَ ورقً وَسَهَلَتْ مخارجه ، كان أسهل ولَوْجًا فى الأسماع ، وأشدَّ اتصالاً بالقلوب ، وأخف على الأفواه ؛ لا سيَّما إذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مونق شريف ، ومعبراً بكلام مؤلف رشيق ، لم يشنه التكلف بميسمِهِ (٥) ، ولم يُفْسِدِهِ التعمد (٦) باستهلاكه؛ كقول « ابن أبى كريمة » (٧) :

قَضَاهُ وَجَهُ حَسَنٌ ، وَالذَّى قَضَاهُ وَجَهُ يُشْبِهُ الشَّمْسَا

فهجَّن المعنى بتوعر مخارج الحروف .

(١) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٧ ، والرسالة المنذراء : ٣٦ « دينار » .

(٢) الشائبب : دفعات المطر .

(٣) فى رسائل البلغاء : ١٨٧ ، والرسالة المنذراء : ٣٦ « تدافقت » .

(٤) انظر : العقد الفريد : ١٧٤/٤ .

(٥) الميسم : الآلة التى يوسم بها ، والسمة : العلامة التى يحدثها الميسم .

(٦) فى العقد الفريد : ١٨٧/٤ ، ٣٩٥/٥ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٠/٤ « التعميد » .

(٧) هو : أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى بالولاء البصرى ، فقيه ، من علماء الإباضية ،

أخذ المذهب عن جابر بن زيد ، ثم صار مرجعاً فيه تشد إليه الرجال ، توفى نحو سنة

١٤٥ هـ . الأعلام : ٢٢٢/٧ - ٢٢٣ .

وأخذه « الحسن بن هانئ » فسهله ، وقال :

❖ بَدَّ حُسْنَ الوجوه حُسْنُ قَضَاكَ ❖

وكلاهما من « حسان » حيث يقول :

قضاؤك أحسن من وجهه وأمك خير من المنذر^(١)

٦٧- وانظر إلى سلاسة (الحسن بن هانئ) ، حيث قال :

حذر امرئٍ ضريتُ يدهُ على العدا كالدَّهرِ فيه شِراسَةُ وِليان^(٢)

وإلى خشونة ألفاظ « حبيب الطائي » في هذا المعنى حيث يقول : (٣)

شِرسَتْ بِلِ لِنَتْ بِلِ قَابِلَتْ ذَاكَ بَدَا فَأَنْتَ لِأَشْكَ فَيْكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٤)

* تعقيد الكلام *

٦٨- وكتب « عيسى بن لهيعة » كاتبًا إلى بعضهم ، فعقد كلامه وجاز المقدار

في التتُّع ؛ فوقَّع له :

أَنْتَى يَكُونُ بَلِيْفَا مِنْ اسْمِهِ كَانَ عِيَا

وِثَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيَا^(٥)

(١) ديوان حسان بن ثابت : ٢٨٢ ، والعقد الفريد : ١٨٧/٤ ، ٣٩٥/٥ .

(٢) ديوان أبي نواس : ٥٥٠

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع أصول الرسالة المخطوطة والمطبوعة ، وقد أكملت ذلك

السقط من : العقد الفريد : ٣٩٢/٥ ، وبذلك يستقيم الكلام ، وينسب البيت السابق

السلس الألفاظ إلى صاحبه « ابن هانئ » ، كما ينسب البيت الآتي الخشن الألفاظ إلى

صاحبه « أبي تمام » بعد أن كان منسويًا إلى (ابن هانئ) وقد أكد ديوانا الشاعرين هذه

النسبة .

(٤) ديوان أبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي) : ١١/٣ .

(٥) البيتان في العقد الفريد : ١٨٧/٤ مع بعض الخلاف في الرواية .

٦٩- ودخل كاتب على مريض فوجده يئن (من علة) (١) ؛ فخرج من عنده ، فوجد طائراً يقال له : « الشفانين » (٢) بباب : « الطاق » ، (٣) فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب كتاباً يتنطع فيه ، ويذكر أنه يقال له : « الشفانين » (وأرجو أن يكون) (٤) شفاء من الأنين .

فأجابه : لو عَطَسْتَ ضَبًّا لم تكن عندي (١-٣٤٥) إلا نبطياً ، فأقصر عن تتطعِكَ (٥) ، وسهل كلامك .

ومثله « لمخلد الموصلي » يهجو « حبيب بن أوس الطائي » :

أنت عندي عـريء	(ليس في ذلك كلام) (٦)
شمر ساقيك وفخ	ذيك خزامى وثمام
وقفأ يحلف ما إن	أعرفت فيه الكرام
أنا ما ذنبي إن كذ	ذبنى فـيك الأنام (٧)

(١) زيادة من جمهرة رسائل العرب : ٢٠١/٤ .

(٢) الشفانين : من أنواع الحمام عند الجاحظ ، وانظر الحيوان : ١٤٦/٣ وقيل : هو الذي تسميه العامة « اليمام » ، وانظر عنه : حياة الحيوان الكبرى : ٥٣/٢ (للميرى) ، وعجائب المخلوقات : ٢٧٢/٢ ، وهامش جمهرة رسائل العرب : ٢٠١/٤ .

(٣) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد ، بالجانب الشرقي ، انظر : معجم البلدان : ٣٠٨/١ .

(٤) زيادة من : العقد الفريد : ١٨٧/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠١/٤ .

(٥) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٨ ، والرسالة العذراء : ٢٨ « بفضك » .

(٦) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٨ « عربى والسلام » .

(٧) الأبيات ضمن مجموعة أبيات أخرى في : العقد الفريد : ١٨٨/٤ ، وجمهرة رسائل العرب :

. ٢٠١/٤ - ٢٠٢ .

٧٠- وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قصة إلى « جعفر بن عبد الواحد القاضى » ، وقال : أكتب لى قصة سهلة بليغة الألفاظ ، فقلت له : دعنى أكتب لك ما يصلح للقضاء ، فغضب وقال لى : ما أسألك (١) أن تعطينى شيئاً ، إنما أسألك هذا المعنى الرخيص ، فاحتملتُ عَتْبَهُ لذمَامِهِ (٢) ، فكتبت له قصة لا تصلح أن تُدْفَعَ إلا « لرؤبة بن العجاج » يقرؤها أو « الطرمّاح » ، فلما حَصَلَتْ بيد القاضى أراد قراءتها فإذا هى منفلقة (٣) عليه ، فقال له : أنت كتبت هذه القصة ؟ قال : نعم ، قال : إذن فاقراها ، فذهب ليقراها ، فإذا هى (أشبهه) (٤) بالسودانية ، استعجأماً عليه ؛ فقال له : أصلح الله القاضى ، إنما أقرؤها فى بيتى؛ فقال له : فاطلب حاجتك إذن فى بيتك (فرجع إلى غضبان أسفاً يشتم ويؤذى، وسألنى أن أكتب له قصة على ما أرى ، فكتبت له كتاباً يشبه أن يكون من مثله إلى القضاة ، فقرأها وقضى حاجته ، وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما)

والكتاب إذا لم يكن شبيهاً بحاجة صاحبه ، كان أحد الأسباب المانعة .

(١) فى جميع مطبوعات الرسالة : « ما أسأل »

(٢) فى جميع مطبوعات الرسالة : « لذمام » ، ولذمامه : لحقه وحرمته .

(٣) فى جميع مطبوعات الرسالة : « مفلقة »

(٤) زيادة يقتضيهما السياق ، من هامش الرسالة العذراء : ٣٩ .

* الائتلاف بين الألفاظ والمعاني *

٧١- والمعاني كلها ممتثلة ، والكلام مشبَّع^(١) ، ولكن سياسته صعبة ، وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته ، وفرسانه أمراء الكلام ، يصرفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة (٣٤٥-ب) حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظة معناه ، ويكون اللفظ أسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب (٢).

٧٢- « الجاحظ » : كان لفظه في وزن إشارته ، وطبعه في معناه في مطابقة معناه .

٧٣- وذكر « الحسن بن وهب » ، « أحمد بن يوسف » ، فقال : ما كنت أدري : ألفظة أنقُ أم معناه ، أو معناه أجزل أم لفظه ؟

٧٤- والمعاني وإن كانت كامنة في الصدور ، فإنها متصورة فيها ، ومتصلة بها ، وهي كالألئ المنظومة (٣) في أصدافها ، والنار المخبوءة في أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنانها وأصدافها تبين حسنها (٤) ، وإن

(١) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ ، والرسالة العذراء : ٣٩ « والكلام مشبَّعاً » ، والصواب من جمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ ، والممتثلة : المتصورة ، والكلام المشبَّع : الوافر المعنى .

(٢) انظر : البيان والتبيين : ١١٥/١ ، ونهاية الأرب : ٨/٧ .

(٣) في جمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ « المنطوية » .

(٤) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ ، والرسالة العذراء : ٣٩ « فإن أظهرته من أكنانه وأصدافه تبين حسنه » .

قَدَحَتِ النَّارَ مِنْ مَكَامِنِهَا (١) وَأَحْجَارَهَا انْتَفَمَتْ بِهَا ، وَإِلَّا بَقِيَتْ
مَحْجُوبَةٌ مُسْتَوْرَةٌ ، وَإِنَّمَا (٢) يَسْتَثَارُ الْكَامِنُ مِنْهَا ، وَيَسْتَخْرَجُ
الْمُسْتَسِرُّ (٣) مِنْ جَوَاهِرِهَا ، بِقَدْرِ حِذْقِ الْمُسْتَبْطِ ، وَصَوَابِ حَرَكَاتِ
الْمُسْتَخْرِجِ ، وَقَصْدِ إِشَارَتِهِ ، وَلَطْفِ مَذَاهِبِهِ وَكَذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ نَاطِقٍ وَلَا
كَاتِبٍ يُوَضِّحُ عَنِ الْمَعْنَى ، وَلَا يَصِيبُ إِشَارَتَهُ ، وَكَلِمَا كَانَ الْكَلَامُ أَفْصَحَ ،
وَالْبَيَانُ أَوْضَحَ ، كَانَ أَدْلَ عَلَى حَسَنِ وَجْهِ الْمَعْنَى ، (وَقَدْ رَأَيْتَهُمْ شَبَّهُوا
الْمَعْنَى) (٤) الْخَفِيُّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ ، وَاللَّفْظُ الظَّاهِرُ بِالْجُثْمَانِ الظَّاهِرِ ،
وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ ، لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ
وَاضِحَةً ، وَلَا النِّظَامُ مُتَسَقِّمًا (وَتَضَاءَلُ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ
، كَتَضَاوُلِ الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْمَارِ الرَّثِيَّةِ) (٥) .

* أصناف الدلالات على المعاني *

٧٥- والدال على المعنى أربعة أصناف : لفظاً ، وإشارةً ، وعقداً ، وخطاً ،
وذكر أرسطاطاليس (صنفاً) (٦) خامساً ، وهو الذى يسمى (٧) :

-
- (١) فى رسائل البلغاء : ١٨٩ «مكانها» وفى هامش الرسالة العذراء : ٢٩ «لمله : مكانها» ،
وهى الموجودة بالأصل المخطوط ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ .
- (٢) فى الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٣/٤ « وبما » .
- (٣) المستسِرُّ : المختفى المستتر .
- (٤) زيادة من العقد الفريد : ١٨٨/٤ . وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ .
- (٥) زيادة من العقد الفريد : ١٨٨/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ .
- (٦) زيادة من المصدرين السابقين فى الموضوعين ذاتهما .
- (٧) فى الأصل ، ورسائل البلغاء : ١٨٩ « وهى التى تسمى » .

النُّصْبَةُ (١)، و (النُّصْبَةُ) هي : الحال (٢) الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، و(هي) الناطقة بغير لفظ ، والمشييرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهرٌ في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق، وهي داخلة في جملة هذه المعانى الأربعة ، وخارجة منها بالحليّة .

٧٦- ولكل واحدة (٣٤٦-أ) من هذه الرسائل صورة مخالفة لصورة صاحبيتها ، وحليّةٌ غير مُشاكلة لحلية أختها ، غير أنها في الجملة كاشفة عن أعيان المعانى (وسافرة عن وجوهها) (٣) .

٧٧- وأوضح هذه الدلائل (وأفصح هذه الأصناف) (٤) صنفان منها ، وهما : اللسان ، والقلم ، وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان منه ، ويؤديان عنه ما لا تؤدى هذه الأصناف الباقية .

٧٨- وأما اللسان ، فهو : الآلة التي يخرج الإنسان بها من حد الاستبهام إلى حد الإنسانية (بالكلام) (٥) .

ولذلك قال صاحب المنطق : « حُدُّ الإنسان : الحى الناطق » (٦) .

(١) انظر في أصناف الدلالات على المعانى : البيان والتبيين : ٧٦/١ ، والحيوان : ٣٣/١ ، والمعقد الفريد : ١٨٨/٤ ، وزهر الآداب : ٨٠/١ . ونهاية الأرب : ٨/٧ ، وخزانة الأدب : ١٤٧/٣ ، وصبح الأعشى : ٤/٣ ، وعيون الأخبار : ١٨١/٢ .

(٢) في رسائل البلغاء : ١٨٩ « هي الحالة » .

(٣) زيادة من المعقد الفريد : ١٨٩/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ .

(٤) في البيان والتبيين : ٧٧/١ ، ١٧٠ ، وإحكام صنعة الكلام : ٣٣ « حد الإنسان : الحى الناطق المبين » وانظر أيضاً : العمدة : ٣٨٢/١ وبه مزيد من التخرير .

وقال عليُّ بن عبيدة^(١) : « إنما يبين عن الإنسان : اللسان ، وعن المودة :
العينان » .

وقال هشام بن عبد الملك^(٢) : « إن الله . سبحانه . رفع درجة اللسان
فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده ، وما جعل الله من عبَّر عن شيء مثل
من لم يعبر عنه » .

وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه .

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا الأصفران ، لسانهُ وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ

فإن ترها راقتك يوماً فريماً أَمَرَ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ^(٣)

(وقال) « الأعرور التيمي » :

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِ^(٤)

(١) هو : علي بن عبيدة الريحاني ، كاتب ، من البلغاء الفصحاء ، كان له اختصاص بالمامون
العباسي ، وصنف كتباً سلك بها نهج الحكمة ، وله مع المامون أخبار ، توفي سنة ٢١٩ هـ .
الأعلام : ٣١٠/٤

(٢) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد في دمشق ،
وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥ هـ) ، وكان يقظاً في أمره ، حسن السياسة ،
يباشر الأعمال بنفسه ، توفي سنة ١٢٥ هـ . الأعلام : ٨٦/٨ .

(٣) زيادة من العقد الفريد : ١٨٩/٤ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٤/٤ - ٢٠٥

(٤) البيت منسوب إلى زهير بن أبي سلمى ، انظر : شرح المعلمات السبع (للزوزني) ١٥٩ .

وقال آخر:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا
(وقال) « الطائي » :

وممّا كانت الحكماء قالت
لسان المرء من خدَمِ الفؤادِ (١)

* بقاء الكتابة على الزمان *

٧٩- وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأصناف (٢) ، لأنه ينوب عنها (٣) في الإيضاح عن المشهد، ويفضلها في المغيّب ، (ولأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتُدرس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذلكاً فصيحاً لا يعدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره) (٤) .

* فضيلة العلم والقلم *

٨٠- وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله - عز وجل - : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٥) وأقسم به (٦) كما أقسم بغيره ، ثم أقسم بما

(١) ديوان أبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي) : ٣٧٥/١

(٢) في الأصل المخطوط ، وجميع مطبوعات الرسالة : « الأوصاف » ، وما دونته من المقدم الفريد : ١٨٩/٤ .

(٣) في المقدم الفريد : ١٨٩/٤ « يقوم مقامها » .

(٤) زيادة من المقدم الفريد : ١٨٩/٤ ، وانظر - أيضاً - البيان والتبيين : ٨٠/١

(٥) سورة العلق : ٤-٥

(٦) في قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْقُرْآنُ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (سورة القلم : ١)

يكتبه القلم ، إفصاحًا عن حاله ، وإعظامًا لشأنه ، وتبهيهاً لذكره ،
فقال: ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (١).

* فضيلة الخط *

٨١- ومن فضيلة الخط أنه لسان اليد ، ورسول الضمير (٢) ، ودليل
الإرادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ،
وسلاح المعرفة (٣٤٦-ب) ومحادثة الأجلاء (٣) على التتائي ،
وأُنس الإخوان عند الفرقة ، ومستودع الأسرار ، وديوان الأمور (٤)
وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر ،
ومورث الآخر مكارم الأول ، والناقل إليه مآثر الماضي ، والمخلد
له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسر القلب ، والمخاطب عن
الناصت (٥) والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأبكم ،
والمتكلم عن الأخرس ، الذي تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره
بمناقبه.

(١) سورة القلم : ١

(٢) في العقد الفريد : ٤/١٧٢ ، وصبح الأعشى : ١/٣ - ٢ ، ونهاية الأرب : ١٣/٧ - ١٤
«بهجة الضمير» .

(٣) في جميع مطبوعات الرسالة : «الأخلاء» .

(٤) انظر : العقد الفريد : ٤/١٧٢ .

(٥) الناصت : الساكت .

* فضيلة البلاغة والقلم *

٨٢- وقد وقعت البلاغة من القلم (١) علوَّ القدر ، وباذخ العزِّ ، « كأبي مسلم » صاحب الدولة : فرَقَّتْ شَمْلَهُ ، وبدَّدتْ جَمْعَهُ ، ونقضت برمه ، وأفسدت صلاحه ، ووضعت بُيَانَهُ ، مع ذكائه وتفطنه ، ومكايده ودهائه ، وأصالة رأيه وشدة شكيمته (٢) ، وامتاعه على « أبي جعفر » ونفاره عنه ، كيف استفزه : « ابن المقفع » ، « وصالح بن عبد القدوس » ، « وجبل ابن يزيد » واستمالوا بسحر ألفاظهم ، وبلاغة أقلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه ، وجاء مبادراً حتى وقع في الشُّرك المنصوب له ، فتفرق جمعه ، وانطفأ نوره ، وصار خبيراً سائراً ورسمًا دائراً .

٨٣- ورفع القلم خاشعَ الطَّرْف ، صغير الخَطَر ، لثيم الجنس ، درج من عُشِّ التجار ، ونشأ بين المكيال والميزان ، كيف أشالت البلاغة بضبعيه (٣) ، ورفعت من ناظرية ، حتى شافهت به عنان السماء ، ورفعت بناءه فوق الثناء (٤) ، حتى طلبه الراكب ، وقصده الطالب ، وخشعت له الرجال ،

(١) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٩٠ « العلم » .

(٢) الشكيمة : الأنفة .

(٣) أشالت البلاغة بضبعيه : رفعت عضديه .

(٤) في جميع مطبوعات الرسالة : « فوق البناء » .

وَلَحِظَتْهُ الْعَيُونَ بِالْوَقَارِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الصَّنَائِعِ ، وَمُدَّتْ نَحْوَهُ الْأَصَابِعُ ،
فَشُكِرَتْ (٢٤٧-أ) مِنْهُ اللَّفْظَةُ ، وَرَجِيَتْ مِنْهُ اللَّحْظَةُ ، « كَمُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزِّيَاتِ » ، وَفِيهِ يَقُولُ « عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ » :

أَحْسَنُ مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا سُدِّي جَمَعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْجَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَطْرَةٍ تَغَسَّلَ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتَ (١)

فَأَحَابِهِ « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ » :

رَقِيَّتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ قَدَّرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتُ
قَيَّرْتُمُ الْمَلِكَ فَلَمْ نُنْفِهِ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ (٢)

وَقَالَ (٣) « حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ » يَمْدَحُهُ وَيَصِفُ قَلَمَهُ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَاهَتِهِ . تَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمُفَاصِلِ (٤) .

٨٤- وكان « محمد » من أطف الناس ذهنًا ، وأرقهم طبعًا ، وأصدقهم
حسًا ، وأرشقهم قلمًا ، وأملحهم إشارة ، إذا قال أصاب . وإذا كتب

(١) انظر ديوان علي بن الجهم : ١٢٠ ، وفي هامشه الخلاف حول نسبة البيتين .

(٢) ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات : ١٢ ، برواية مختلفة ، وقيرتم الملك : طلوتموه
بالقار .

(٣) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٩١ « ومدحه » .

(٤) انظر ديوان أبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي) : ١٢٢/٢ ، وعيون الأخبار : ٤٨/١ ،
وديوان المعاني : ٧٨/٢ ، والعقد الفريد : ١٧٩/٢ ، ونهاية الأرب : ٢٥/٧ ، وأدب الكتاب :
٧٥ ، وزهر الآداب : ٤٢٣/١ ، وصبح الأعشى : ٤٤٨/٢ ، ومعنى بشباهته : بعده .

أبلغ، وإذا شعر أحسن^(١)، وإذا اختصر أغنى عن الإطالة : أمره «الواثق» أن يتلطف «بعبد الله بن طاهر»، ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم، وفوض ذلك لابن عمه «إسحاق بن إبراهيم»، فكتب: «أما بعد، فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما فى يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعلهُ فى شمالك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

٨٥- و «لسهل بن بركة» يهجو «أبا نوح النصرانى الكاتب»، فقال :

بأبى وأمى ضاعت الأحلام^(٢) أم ضاعت الأذهان والأفهام؟
من صد عن دين النبى محمد آله بأمر المسلمين قيام؟
(٣٤٧-ب) إلا تكن أسيافهم مشهورة فينا فتلك سيوفهم أقلام

٨٦- قال «عبد الرحمن بن كيسان»: «استعمال القلم^(٣) أجدر بإحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام^(٤)».

(١) إذا شعر أحسن : إذا كتب شعراً أجاد .

(٢) الأحلام : العقول .

(٣) فى رسائل البلغاء : ١٩١ ، وجمهرة رسائل العرب : ٢٠٩/٤ «الكلام» وصحح ذلك الدكتور: زكى مبارك فى تحقيقه للرسالة العذراء : ٤٤ ب «القلم»، معتمداً فى ذلك على البيان والتبيين : ٨٠/١ ، وهذا التصحيح هو الموجود بالأصل المخطوط .

(٤) انظر : البيان والتبيين : ٨٠/١

البلاغة وماهيتها (١)

٨٧- ولم يُخْتَلَفَ في شرف القلم . وإنما اختلف في كيفية البلاغة وماهيتها، وقد مدحها كل قوم بأوضح عباراتهم وأحسن بيانهم .

٨٨- فقال « صاحب اليونانيين » : البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام (٢) .

٨٩- (وقال) « الرومي » : البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة (٣) .

٩٠- (وقال) « الفارسي » : هي معرفة الفصل من الوصل (٤) .

٩١- (وقال) « الهندي » : هي البصر بالحُجَّة ، و المعرفة بمواقع الفرصة، ثم أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاح أوعر طريقاً، وربما كان الإطراق عنها أبلغ في الدَّرَكِ وأحقُّ بالظَّفَرِ (٥) .

٩٢- (وقال) غيره : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخَرْقِ (٦) بما التبس من المعاني وغمُضَ ، وبما شَرَدَ

(١) هذا العنوان من هامش المخطوط الأصلي

(٢) انظر : البيان والتبيين : ٨٨/١ ، وزهر الآداب : ١١٨/١

(٣) في البيان والتبيين : ٨٨/١ ، وزهر الآداب : ١١٨/١ (للهندي)

(٤) في البيان والتبيين : ٨٨/١ ، ونهاية الأرب : ٧/٧ (لبعضهم) وزهر الآداب : ١١٨/١

(٥) انظر : البيان والتبيين : ٨٨/١

(٦) في رسائل البلغاء : ١٩١ ، والرسالة المنذراء : ٤٥ . و «قلة الحنق» ، وفي جمهرة رسائل

العرب : ٢٠٩/٤ « والحنق » ، وما دونته من الأصل المخطوط ، وتؤكد رواية : البيان

والتبيين : ٨٨/١

عليك من اللفظ وتعذر ، ثم قال : وَزَيْنُ ذَلِكَ كله وبهاؤه، وحلاوته
(وسناؤه) (١) أن تكون الشمائل معتدلة ، والألفاظ موزونة ، واللهجة
نقية ، فإن جامع ذلك السُّنُّ والسمت ، (٢) والجمال وطول الصمت ،
فقد تم كلُّ التمام (٣) .

٩٣- وقيل « لهندي » ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم ، فيها:
أولُ البلاغة اجتماع آلةِ البلاغة ، وذلك أن يكون رابط الجأش (٤)،
ساكن الجوارح ، قليل اللَّحْظِ ، متخيِّر اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة
بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السُّوقَة ، ويكون في قواه فضل
للتصُّرف في كل طبقة (٣٤٨-١) ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا
ينقح الألفاظ كل التتقيح (ولا يصفئها كل التصفية ولا يهذبها
غاية التهذيب) (٥) ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفًا حكيمًا
عليماً ، ومن قد تعود حذف فضل الكلام ، وأسقط مشترك
اللفظ (٦) .

(١) زيادة من : البيان والتبيين : ١/٨٩ ، وجمهرة رسائل العرب : ٤/٢٠٩

(٢) السمت : هيئة أهل الخير .

(٣) انظر : البيان والتبيين : ١/٨٩

(٤) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(٥) في الأصل المخطوط ، ورسائل البلغاء : ١٩٢ « ويصعبها كل التصعبية ويهذبها غاية

التهذيب » وما دونته من : البيان والتبيين : ١/٩٢ ، وزهر الآداب ١/١٠٤

(٦) انظر : البيان والتبيين : ١/٢٩ ، وكتاب الصناعتين : ٢٥-٢٦ ، وزهر الآداب ١/١٠٤ ،

وعيون : ٢/١٧٣ .

٩٤- (وقال) « أنو شروان » « لبزجمهر » : متى يكون العيُّ بليغاً ؟ فقال: إذا وصف بليغاً (١) .

٩٥- (وقال) « أرسطاطاليس : البلاغة حسن الاستعارة.

٩٦- (وقال) « بشر بن خالد » : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير (٢) .

٩٧- (وقال) « خالد بن صفوان » : ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى ، والقرع بالحجة.

٩٨- (وقال) « عمر بن عبد العزيز » : البليغ من إذا وجد كثيراً ملاءه ، وإذا وجد قليلاً كفاءه.

٩٩- (وقال) « ابن عتبة » (٣) : البلاغة دنو المآخذ ، وقرع الحجة ، والاستغناء بالقليل عن الكثير.

١٠٠- (وقال) بعضهم : إنى لأكره لإنسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله ، كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه وعلمه (٤) .

(١) في عيون الأخبار : ١٧٥/٢ « ... إذا وصف حبيباً »

(٢) انظر : كتاب الصناعتين : ٣٥ ، وزهر الآداب : ١١٦/١ (لأعرابي)

(٣) هو : عبید الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الله ، مفتي المدينة ، وأحد الفقهاء السبعة فيها ، من أعلام التابعين ، كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث والعلم بالشعر ، توفي سنة ٩٨ هـ ، الأعلام : ١٩٥/٤

(٤) في البيان والتبيين : ٥٨١ (لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس)

١٠١- (وقال إبراهيم بن محمد بن العباس) : يكفى كم من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يُؤتى الناطق من سوء فهم السامع (١) .

١٠٢- (وقيل لـ) « عمرو بن عبيد (٢) : ما البلاغة ؟ فقال : ما بلغك الجنة، وعدل بك عن النار، وما بصَّرَكَ بمواقع رشدك ، وعواقب غيِّكَ. فقال السائل (٣) : ليس هذا أريد ، فقال : من لا يحسن أن يسكت لم يُحسِّنْ أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول؛ قال : ليس هذا أريد : قال : قال النبي - عليه الصلاة والسلام - : « إنا معاشر الأنبياء بكاءون » (٤) (٣٤٨-ب) وكانوا يكرهون أن يزيد منطلق الرجل على عقله ، فقال له السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ، ما لا يخافون من فتنة السكوت ، ومن سقطات الصمت ، فقال السائل : ليس هذا أريد ، فقال، فكأنك إنما تريد تخيِّرَ اللفظ في

(١) انظر : البيان والتبيين ٨٧/١ ، وزهر الآداب : ١١٧/١ ، ونهاية الأرب : ٧/٧ .

(٢) هو : عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء ، أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة فى عصره، ومفتيها ، وأحد الزهاد المشهورين ، اشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسى وغيره ، توفى سنة ١٤٤ هـ ، ورثاه المنصور ، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه!!
الأعلام: ٨١/٥

(٣) فى زهر الآداب : ١٠٢/١ « هو : حفص بن سالم ،

(٤) لم أقف على هذا الحديث ، والبكاءون : قليلو الكلام

حسن إفهام (قال : نعم ، قال:)^(١) إنك إن أردت تقرير حجة الله
فى عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين تلك
المعانى فى قلوب المريرين، بالألفاظ المستحسنة فى الآذان ،
المقبولة عند الأذهان ، رغبة فى سرعة استجابتهم ، ونفى
الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة (الناطقة عن)^(٢) الكتاب
والسنة ، كنت قد أوتيت (الحكمة و)^(٣) فصل الخطاب، واستوجبت
من الله . سبحانه . جزيل الثواب (٤) .

١٠٢- (وقال) « الخليل بن أحمد » : كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو
بلاغة ، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طيباً ، ولتلك الحال
وفقاً ، وآخر كلامك لأوله مشابهاً ، وموارده لمصادره موازناً ، فافعل،
واحرص إن تكون لكلامك متهماً وإن ظرفاً ، ولنظامك مستريباً وإن
لطفاً ، بمواتاة آلتك لك ، وتصرف إرادتك معك ، فافعل إن شاء
الله .

(١) زيادة من : البيان والتبيين : ١١٤/١ .

(٢) بالأصل المخطوط ، والرسالة المنذراء : ٤٨ ، وزهر الآداب : ١٠٢/١ . بالموعظة الحسنة
على الكتاب والسنة .

(٣) زيادة من زهر الآداب : ١٠٢/١ .

(٤) انظر : البيان والتبيين : ١١٤/١ ، وعيون الأخبار : ١٧٠/٢ - ١٧١ ، وزهر الآداب :
١٠٢/١ ، ونهاية الأرب : ٧/٧ .

* خاتمة الرسالة *

١٠٤- وهذه الرسالة عذراء ؛ لأنها بكرُ معانٍ لم تفتَرِ عَها بلاغة الناطقين،
ولا لمستها أكف المفوّهين ، ولا غاصت عليها فِطْنُ المتكلمين ، ولا سبق
إلى ألفاظها أذهان الناطقين ؛ فاجعلها مثلاً بين عينيك ، ومصوِّرة بين
يديك ، ومسامرة لك في ليلك ونهارك ، تهطلُ عليك شآبيب منافعها ،
ويُظِلُّك منها بركاتها ، وتوردُك مناهل بلاعاتها ، وتدلُّك على مَهَيِّعِ
رشدِها ، وتُصدِّرك وقد نُقِعَ (٣٤٩-١) ظمؤك بينابيع بحر إحسانها ، إن
شاء الله - عز وجل - ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

